تاسعا : الكتابات التأسيسية

تعد من أقدم أنواع الكتابات الأثرية من حيث الاستخدام ، وهي التي تؤرخ للعمائر والمنشآت خاصة منها ذات الاستخدام العمومي كالمساجد ، المدارس ، القناطر والجسور ، السدود ، أبواب المدن ، الفنادق ، والمنشآت العسكرية كالقلاع والحصون والأبراج ، والهدف الأساسي منها التأريخ للبناء وتخليد ذكرى مؤسسه ، والعمائر الإسلامية تزخر بهذا النوع من الكتابات خاصة المساجد ، فلا نكاد نعثر على جامع أو مسجد بدون كتابة تأسيسية إلا إن كانت مفقودة .

وقد شاع استخدام هذا النوع من الكتابات في العمارة الإسلامية منذ وقت مبكر ، فظهرت في المشرق أولا ، ثم انتقلت إلى مصر فبلاد المغرب والأندلس ، كما انتقلت أيضا إلى إيران والهند وبلاد ماوراء النهر وانتقلت أيضا إلى بلاد الأناضول ، ولاتزال تحتفظ بعض المواقع والعمائر وبعض المتاحف بنماذج قديمة جدا لهذه الكتابات ، بعضها يعود حتى للقرن الأول الهجري ، وتنجز الكتابات التأسيسية عادة على ألواح من الحجر أو الجص أو الرخام ، وتنجز أحيانا في أصل البناء مباشرة أي على جدرانه ، وأحيانا على بعض أجزائه كالمنبر أو المنارة ...، وتوضع هذه الكتابات عادة في أماكن تتيح لكل من يزور المكان أن يراها ويقرأها ، وهو الهدف من وجودها أصلا ، فنجدها تعلو أبواب المداخل الرئيسية ، أو بيوت الصلاة ، ونجدها أعلى المحراب أو على صدر المنبر ، أو بمدخل المئذنة ... ، المهم أن يكون مكانا متاحا لجميع الزوار ، وأحيانا حتى للمارة من الخارج .

وقد اختلف تركيب هذه الكتابات من قطر لآخر ومن زمن لآخر ، لكن هناك بعض العناصر نجدها حاضرة في أغلب الكتابات التأسيسية نذكر منها :

1 - الاستهلالات :

وهي عبارات الاستفتاح التي يبدأ بها ويقصد بها التبرك عادة ، وهناك عبارات شائعة ومتداولة غالبا مثل : البسملة ، الحمدلة ، الصلعمة ، وبعض الآيات القرآنية كآية الكرسي أو سورة الإخلاص ...

2 - العبارات الدالة على البناء والتأسيس :

وهي كثيرة جدا نجد منها : بنى ، أقام ، شيد ، أسس ، صنع ، هذا عمل ، هذا صنع ... وأحيانا نجد عبارات أخرى تدل على الترميم أو التجديد مثل : رمم ، جدد ، جدد الرسوم ، أعاد بناء ...

3 - اسم المؤسس :

ويكون غالبا شخصا ذا جاه وسلطان : خليفة ، أمير ، سلطان ، والي ، وزير ، ويذكر عادة باسمه ولقبة وكنيته ، وصفته أيضا مثل : هارون الرشيد أمير المؤمنين وخليفة المسلمين ، وأحيانا قد يذكر اسم الصانع أو المشرف على البناء وهذا قليل .

4 - تاريخ البناء أو التجديد :

ويكون عادة بالهجري ، بذكر السنة وحدها ، أو بذكر اليوم والشهر والسنة ، ويمكن أن يورد بطريقة حساب الجمل ، ويكون التاريخ المذكور غالبا هو تاريخ نهاية الأشغال ، وقد يذكر أحيانا تاريخ بداية الأشغال ونهايتها معا ، وقد يكون بالأحرف فقط أو الأرقام فقط ، أو هما معا .

5 - الدعاء بالخير لمن شيد البناء :

وتتنوع هذه الأدعية بأن ينيله الله الخير في الدنيا والآخرة ، كالدعاء له بالرحمة والمغفرة والثواب ، والدعاء بالنصر والتأييد والتمكين والتوفيق ...

- أمثلة على بعض الكتابات التأسيسية في المشرق

1 - نقش سد معاوية :

يقع هذا السد جنوب شرقي مدينة الطائف بحوالي 12 كم ، وسط منطقة من الشعاب والجبال التي تصب مياهها في وادي سيسد ، ويبلغ طوله 58 م وسمكه 4.1 م وارتفاعه 8.5 م ، وفي سفحة وجدت صخرة كتابة من الحجر نقشت عليها هذه الكتابة

السطر 1 : هذا السد لعبد الله معوية

السطر 2 : أمير المؤمنين بناه عبد الله بن صخر

السطر 3 : بإذن الله لسنة ثمن وخسمين أ

السطر 4 : للهم اغفر لعبد الله معوية أ

السطر 5 : مير المؤمنين وثبته وانصره ومتع ا

السطر 6 : لمؤمنين به كتب عمرو بن حباب

2 - نقش قبة الصخرة : يعد من أقدم النقوش التأسيسية في العالم الإسلامي ، وقد كتب بفسفسياء مذهبة على ضلعين من أضلاع المثمن الداخلي للقبة بخط كوفي بسيط ونصه :

" بسم الله الرحمن الرحيم لاإله إلا الله وحده لاشريك له محمد رسول الله صلى الله عليه / بنى هذه القبة عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين تقبل الله منه ورضي عنه آمين رب العلمين لله الحمد " .

وواضح من الكتابة أنه جرى تزوير في اسم المؤسس وتحويله من عبد الملك ظغلى عبد المأمون ، لكن المزور ترك التاريخ كما هو وهو سنة 72 هـ ، وهو تاريخ يوافق فترة حكم عبد الملك وليس المأمون ، ثم إن المصادر التاريخية تجمع على أن بناء القبة أول مرة كان بأمر عبد الملك وعلى عهده ، مع وجود كتابات أخرى لإصلاحات تمت لاحقا على القبة .